والحامي هو فحل الإبل إذا نتجت من صلبه عشرة أبطن فيمنع من أن يركب أو يحمل عليه ولا يمنع من مرعى ولا ماء . ويقولون : إنه حمى ظهره أي كان سببا في حمايته فهو حام . قال ابن وهب عن مالك كانوا يجعلون عليه ريش الطواويس ويسيبونه فالظاهر أنه يكون بمنزلة السائبة لا يؤكل حتى يموت وينتفع بوبره للأصنام .

وقوله (ولكن الذين كفروا يفترون على ا الكذب) الاستدراك لرفع ما يتوهمه المشركون من اعتقاد أنها من شرع ا لتقادم العمل بها منذ قرون . والمراد بالذين كفروا هنا جميع المشركين فإنهم يكذبون في نسبة هذه الأشياء إلى شعائر ا لأنهم جميعا يخبرون بما هو مخالف لما في الواقع . والكذب هو الخبر المخالف للواقع .

والكفار فريقان خاصة وعامة : فأما الخاصة فهم الذين ابتدعوا هذه الضلالات لمقاصد مختلفة ونسبوها إلى ا وأشهر هؤلاء وأكذبهم هو عمرو بن عامر بن لحي بضم اللام وفتح الحاء المهملة وياء مشددة الخزاعي ففي الصحيح قال رسول ا صلى ا عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه بضم القاف وسكون الصاد المهملة أي إمعاءه في النار وكان أول من سيب السوائب . ومنهم جنادة بن عوف . وعن مالك أن منهم رجلا من بني مدلج هو أول من بحر البحيرة وأن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال : رأيته مع عمرو في النار . رواه ابن العربي . وفي رواية أن عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة وسيب السائبة . وأصح الروايات وأشهرها عن رسول ا : أن عمرو بن لحي أول من سيب السوائب ولم يذكر البحيرة .

وأما العامة فهم الذين اتبعوا هؤلاء المضلين عن غير بصيرة وهم الذين أريدوا بقوله : (وأكثرهم لا يعقلون) . فلما وصف الأكثر بعدم الفهم تعين أن الأقل هم الذين دبروا هذه الضلالات وزينوها للناس .

والافتراء : الكذب . وتقدم عند قوله تعالى (فمن افترى على ا الكذب من بعد ذلك) في سورة آل عمران .

وفي تسمية ما فعله الكفار من هذه الأشياء افتراء وكذبا ونفي أن يكون ا أمر به ما يدل على أن تلك الأحداث لا تمت إلى مرضاة ا تعالى بسبب من جهتين : إحداهما أنها تنتسب إلى الآلهة والأصنام وذلك إشراك وكفر عظيم . الثانية أن ما يجعل منها تعالى مثل السائبة هو عمل ضره أكثر من نفعه لأن في تسييب الحيوان إضرارا به إذ ربما لا يجد مرعى ولا مأوى وربما عدت عليه السباع وفيه تعطيل منفعته حتى يموت حتف أنفه . وما يحصل من در بعضها للضيف وابن السبيل إنما هو منفعة ضئيلة في جانب المفاسد الحافة به .

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل ا وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون [104]) الواو للحال . والجملة حال من قوله : (الذين كفروا) أي أنهم ينسبون إلى ا ما لم يأمر به كذبا وإذا دعوا إلى اتباع ما أمر ا به حقا أو التدبر فيه أعرضوا وتمسكوا بما كان عليه آباؤهم . فحالهم عجيبة في أنهم يقبلون ادعاء آبائهم أن ا أمرهم بما اختلفوا لهم من الضلالات مثل البحيرة والسائبة وما ضاهاهما ويعرضون على دعوة الرسول الصادق بلا حجة لهم في الاولى وبالإعراض عن النظر في حجة الثانية أو المكابرة فيها بعد علمها .

والأمر في قوله (تعالوا) مستعمل في طلب الإقبال وفي إصغاء السمع ونظر الفكر وحضور مجلس الرسول صلى ا عليه وسلم وعدم الصد عنه فهو مستعمل في حقيقته ومجازه . وتقدم الكلام على فعل (تعال) عند الكلام على نظير هذه الآية في سورة النساء .

و (ما أنزل ا) : هو القرآن . وعطف (والى الرسول) لأنه يرشدهم إلى فهم القرآن . وأعيد حرف (الى) لاختلاف معنيي الإقبال بالنسبة إلى متعلقي (تعالوا) فإعادة الحرف قرينة على إرادة معنيي (تعالوا) الحقيقي والمجازي .

وقوله (قالوا حسبنا) أي كافينا إذا جعلت (حسب) اسما صريحا و (ما وجدنا) هو الخبر أو كفانا إذا جعلت (حسب) اسم فعل و (ما وجدنا) هو الفاعل . وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى (وقالوا حسبنا ا ونعم الوكيل) في سورة آل عمران .

و (على) في قوله : (ما وجدنا عليه آباءنا) مجاز في تمكن التلبس وتقدم في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) .

A E